

مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات
The life project of a drug addicted teenager

سجيدة لزرق

المركز الجامعي مرسلتي عبد الله- تيبازة. الجزائر.

lazreg.sadjida@cu-tipaza.dz

تاريخ القبول : 2023/11/04

تاريخ الاستلام: 2023/7/10

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات، من خلال الاعتماد على المنهج العيادي باستخدام تقنية منهج قصة الحياة الذي يمكنها من تحليل وتتبع مسار حياة المبحوث، من خلال العودة إلى المراحل السابقة من عمره، التي تتم في إطار المقابلة. تكونت حالات الدراسة من مراهقين (2) مدمنين على المخدرات، عمرهم 16 و17 سنة، مودعين بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو ولاية سيدي بلعباس. توصلت الدراسة إلى أن مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات مشوش وغير بارز. المشروع المهني ظاهر لدى الحالة الذي كان يشتغل سابقا مع أبيه، وغائب لدى الحالة الذي يعاني من مشاكل علائقية مع أبيه. المشروع العائلي غير ظاهر لدى الحالة الذي يظهر لديه المشروع المهني. وظاهر لدى الحالة الذي يعاني من القسوة والبرود في العلاقات الأسرية والذي يفسر محاولة تعويض الحالة للنقص الذي عانى منه خلال مراحل تكوينه. لا يتضمن مشروع الحياة خطة التوقف عن إدمان المخدرات لدى الحالتين.

الكلمات المفتاحية: مشروع الحياة؛ مراقبة؛ إدمان؛ مخدرات

Abstract:

The study aimed to identify the life project of a drug-addicted teenager, by relying on the clinical approach using the life story approach technique, which enables it to analyze and trace the path of the respondent's life, by returning to the previous stages of his life, which takes place within the framework of the interview. The study cases consisted of two (2) drug-addicted adolescents, aged 16 and 17 years, placed in the specialized re-education center in Hassi Dahou, Sidi Bel Abbes province. The study found that the life project of a drug-addicted teenager is confused and not prominent. The professional project is apparent in the case who previously worked with his father, and is absent in the case who suffers from relational problems with his father. The family project is not apparent to the case who has the professional project. It is apparent that the patient suffers from cruelty and coldness in family relationships, which explains the condition's attempt to compensate for the deficiency that he suffered during the stages of his formation. The Life Project does not include a drug addiction cessation plan for both cases.

Keywords : Life project; adolescence; Addiction; drugs.

مقدمة:

ظهرت المواد المخدرة أي ذات التأثير النفسي قديماً، منذ العصور الأولى التي ترجع إلى العصر الحجري. وكانت بدايات استعمالها نبيلة كاستخدامها الطبي لمعالجة الأمراض. غير أنه في الوقت الراهن أصبح يستهلكها الأشخاص لأغراض أخرى كتحقيق النشوة، والسعادة، الراحة ونسيان المشكلات وغيرها. إلى أن أصبحت مشكلاً حقيقياً تعاني منه كل الدول.

تكمن خطورة الإدمان على المخدرات في ثلاث جوانب أساسية، أولها الأضرار الجسيمة التي تحدثها على الصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية، ثانياً، جعل المدمن خاملاً لا يفيد نفسه والمجتمع في أي شيء، والجانب الثالث يتمثل في انتشار جرائم القتل والسرقة والاختطاف المرتبطة بظاهرة الإدمان على المخدرات.

وتساهم دراستنا في تسليط الضوء على مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات، باعتبار أن مشروع الحياة عبارة عن تخطيط لما يطمح إليه الشخص في المستقبل، كيف يرى نفسه، وما هي الانجازات التي سيحققها، ما هي الحياة التي يطمح لعيشها. وهذا التخطيط يساعد في التعرف على الذات وتطويرها نحو الأفضل، مما يساهم في توجيه الجهد الجسدي، النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي وغيرها نحو تحقيق الهدف المنشود. والعكس إذا لم يتم تخطيط المستقبل وتحديد الأهداف التي يسعى لتحقيقها فلا يمكنه تحقيق ذاته وصحته النفسية، ويجد نفس فريسة التهميش، والاضطرابات. يجد صعوبة في اختيار العمل الذي يناسب قدراته، الزوجة التي يسكن عليها والأسرة التي يستقر فيها. وفي حالة الإدمان على المخدرات يساهم مشروع الحياة في التفكير والتخطيط في الإقلاع على تعاطي المخدرات وبالتالي العودة إلى السواء والابتعاد على الأمراض والاضطرابات التي ينعكس على تعاطي المخدرات.

ولأجل الإلمام بهذه الجوانب، اعتمدت الدراسة على جانب نظري يضم التعريف بمفاهيم الدراسة، وآخر تطبيقي فيه يتم عرض وتحليل حالات الدراسة. واختتمت الدراسة بخاتمة تشمل جوانب الدراسة.

الإشكالية:

يُعد إدمان المخدرات من الظواهر الأكثر خطورة على الفرد والمجتمع وتعتبر من أكبر مشكلات العصر، كونها في تزايد مستمر وتستفحل يوماً بعد يوم مع انخفاض سن الإدمان ودخول أصناف جديدة من المواد المخدرة.

يربط عديد الباحثين الإدمان على المخدرات بالمشاكل الأسرية، الاقتصادية، والاجتماعية، فيما يتعلق بالسياق الأسري، فتعاطي الوالدين للمخدرات ونقص الإشراف الوالدي والمعاناة الوجدانية للوالدين والشجارات العائلية وانفصال الوالدين تعد عناصر لا يمكن تجاهلها في تحديد أسباب الإدمان على المخدرات. كما أنّ فساد البيئة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع والتي تتمثل في نظامه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ومنظّماته الثقافية عوامل تساهم في انتشار الإدمان. (بريشي، 2020، ص 350)

يظهر الإدمان في مرحلة المراهقة خطرا ومهددا كونها مرحلة مهمة في حياة الشخص، فهي مرحلة المرور إلى النضج وعالم الرشد. يكتمل فيها النمو البدني، العقلي، النفسي والجنسي وينتهي المراهق بتكوين هوية وفق سيرورة تُسمى بالشخصنة؛ يتكوّن فيها، يكبر، ينمو ويتحقّق في نفس الوقت الذي ينشأ فيه اجتماعيا ويمتثل، وبالتالي يندمج وينشأ اجتماعيا.

لا يكتمل اندماج المراهق في المجتمع إلا بتخطيط مشروع حياته والذي يساعده على إسقاط ذاته في المستقبل، وامتلاكه لمستوى من الطموح المستقبلي. فمشروع الحياة يُعبّر عن ما يود الفرد فعله، وما يود أن يصبح عليه، وعلى ماذا يحصل في المستقبل بكل حرية مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار المكاني الذي يترعرع فيه، والديمومة الزمنية والاختيارات المستقبلية.

وبالتالي يتأثر مشروع الحياة للمراهق المدمن على المخدرات كونه مر بمراحل وظروف صعبة أثناء تكوّنه ويعيش أصعب مراحل حياته كونه يعيش حالة تبعية لمادة مخدرة تمنعه أن يتحكم في أفعاله وتصرفاته.

تحاول الدراسة الحالية البحث في مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات، انطلاقا من دراسة مقدم (2011) حول "مشروع الحياة عند المراهق والمراهقة الجانحة"، المودعين بالمركز المتخصص في إعادة التربية بنين وبنات بوهران. وذلك لغياب الدراسات حول مشروع الحياة لدى المراهق المدمن، وتعد شريحة المدمنين الأقرب إلى شريحة الجانحين، كما يصنف عديد الباحثين الإدمان على المواد المخدرة ضمن فئة الجنوح. اعتمدت الباحثة مقدم (2011) في دراستها على المنهج العيادي. تكونت عينة الدراسة من 20 حالة مقسمة بالتساوي بين الإناث والذكور، يتراوح عمرهم ما بين 14 و18 سنة. توصلت الدراسة إلى أنه توجد علاقة بين الجنوح، تقدير الذات ومشروع الحياة. توجد عند المراهق والمراهقة نية في تجاوز تلك الوضعيات الصعبة، ولديهم رغبة في إعادة بناء الهوية واستعادة مكانتهم الاجتماعية وبناء مشروع تنتظم به حياتهم.

تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل يخطط المراهق المدمن على المخدرات لمشروع الحياة؟
 - هل يتضمن مشروع الحياة خطة التوقف عن إدمان المخدرات؟
- فرضيات الدراسة:

- يخطط المراهق المدمن على المخدرات للمشروع المهني.
- يخطط المراهق المدمن على المخدرات إلى للمشروع العائلي.
- يتضمن مشروع الحياة خطة التوقف عن إدمان المخدرات.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

المنهج: حاولت الدراسة الحالية البحث في مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات، من خلال اتباع المنهج العيادي الذي يمثل الدراسة المعمقة للشخصية كحالة فردية (عادية ام مرضية)، ويستهدف فهم الحالة الراهنة لسلوك الفرد اعتمادا على معطيات تاريخه الماضي وادائه الحاضر، بغية تشخيص الحالة انيا مع التقدير او التنبؤ بتطورها مستقبل.

أدوات الدراسة: اعتمدت الدراسة على التقنيات التالية:

- قصة الحياة: لتتبع وتحليل مسار حياته من خلال العودة إلى المراحل السابقة من عمره ثم الإسقاط نحو المستقبل كون مشروع الحياة في المراهقة يرتبط فيه الماضي بالحاضر ليسمح له بالتوجه نحو المستقبل.

وهي شكل خاص من المقابلة-مقابلة سردية- التي يطلب من خلالها الباحث من شخص ما بأن يروي (على شكل قصة) حياته أو جزءا من حياته". (Galligani, 2000, p. 22)

يعرفها شابرول (Chabrol) على أنها: "تقنية مقابلة تقريبا موجهة، تتميز من خلال خاصيتها المتوسعة. مسار المقابلة نادرا ما يكون واضحا فيها، يكون غالبا شبكة أحداث تترك أثرا على الفاعل (Sujet)، على معيشته، المدلولات التي يُعطيها". (Galligani, 2000, p. 22)

تساهم قصة الحياة المبحوث الإدلاء بأسراره للباحث، ويكون هنا الهدف هو الكشف عن الذات وإثراء المعرفة العلمية. فالباحث يبحث عن الإمساك عبر حديث المبحوث بالطريقة التي من خلالها يُركب المبحوث أو يتمثل بها موضوعا أو ظاهرة معينة. إنّ ذلك يجعل المبحوث في علاقة مع ذاته و مع تجربة على شكل كلمات. (Santiago-Delefosse, s.d, p. 19.)

- المقابلة: تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة، تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأفراد المبحوثين. (أنجرس، 2004، ص 197)

وفي الدراسة الحالية، اعتمدنا على المقابلة نصف الموجهة من خلال الاعتماد على المحاور الرئيسية التي تشكل دليل المقابلة (أنظر الملحق)، كما استعنا بالتسجيل الصوتي بعد إذن المراهقين الجانحين المدمنين على المخدرات. ثم حوّلت المادة الخام إلى قصص مكتوبة باللغة العربية الفصحى كي يتسنى للجميع فهمها.

- **الملاحظة:** تقنية مباشرة للتقصي العلمي تسمح بملاحظة ومشاهدة الحالة أو الموقف، أو المجموعة، لأخذ معلومات كيفية من أجل فهم المواقف والسلوكيات. (أنجرس، 2004، ص 184)

وفي الدراسة الحالية، ساعدت الملاحظة في الكشف عن التوتر الذي لم يعبر عنه الحالة أثناء سرده لمختلف المواقف الضاغطة، كتغير نبرة الصوت، تغير لون البشرة، حركة الجسم، وتغير طريقة الجلوس، وفترات الصمت.

حالات الدراسة: تكونت من مراهقين (2) ذكرين مدمنين على المخدرات، عمرهما (16) و(17) سنة على التوالي، مودعين بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو، ولاية سيدي بلعباس.

1. مفاهيم الدراسة:

1.1. مشروع الحياة والمراهقة:

المراهقة هي مرحلة نمو، ينمو الفرد مع ضرورة تولي دور جديد، وتحمل أعباء ومهام جديدة، والاقتراب من مكانة راشد. ففي هذه الفترة تظهر سمات مميزة للتفكير الإبداعي، أحاسيس جديدة، أفكار من أجل حياة جديدة وما يميزها هو: الإسقاط نحو المستقبل من خلال تحديد مشروع يُحاول المراهق بلوغه.

بناء مشروع الحياة يكون بالضرورة إسقاطا للذات في أدوار وفي مكانات، بحيث لا تنفصل الأدوار عن المكانات، أي ما يود الأشخاص أن يُصبحوا وعلى ماذا يحصلون في المستقبل.

يعتبره تاب (Tap) كتوتر التحقيق، حيث يؤكّد على أهمية "الحاجات"، "الرغبات" و"الدوافع" في بروز المشروع والذي يكمن عند الفرد المشارك في محيطه. يُضيف تاب (Tap) وأوبرايري (Oubrayrie) أنّ المشروع في المراهقة يكون على وضع علاقة مع "الماضي" و"الحاضر"، وضع من منظور يقتضي قدرات معرفية، استعداد في اللحظة وسياق اجتماعي يسمح للمراهق مباشرة العمل في المشروع (Cherif and Monchaux, 2007, pp 13-15).

Monchaux, 2007, pp 13-15)

طوّر إيتو (Huteau) مفهوم مشروع الحياة من خلال التخصص الجديد "سيكولوجية المشروع". وهو جد مهم من الاختيار لأنّه يشترك فيه "الاستمرارية"، "الطبع الشخصي" المعروف عند الاسقاط في المستقبل، و"الاستقلالية والمسؤولية". يخص بالذكر، اكتساب الاستقلالية يفترض فضاءات تفاوض

أين يستطيع التنسيق بين وجهة نظره الخاصة ووجهة نظر الآخر، وبالتالي يقتضي عليه إذن معرفة إلى أي مدى يستطيع شروط حياة المراهق أن تسمح له بتطوير استقلالته (Cherif and Monchaux, 2007, p. 14).

من أجل بناء مشروع الحياة يتوجب على المراهق أن يلتزم باستراتيجيات توازن بين ذاته ومحيطه من خلال بحثه عن المعنى. المعنى الذي يُعطيه لحياته، لشخصه في محيط اجتماعي وإنساني، وفي التمثيل بين الماضي، الحاضر والمستقبل.

تخصّ المراهقة ثلاثة أنماط من المشاريع: مشروع التوجّه المدرسي، مشروع الإدماج العملي ومشروع الحياة. يتعلّق الأمر بـ "مشروع ذات" مرتبط بميادين عاطفية وعائلية. إنّه يتعلق بأسلوب الحياة الذي يُفكر الفرد في تبنيه في السنوات المقبلة؛ وهذا حسب ما أشار إليه رودريغيز-تومي (Rodriguez-Tomé) وباريو (Bariau) من أجل الإشارة إلى مشروع واسع وطويل المدى مقارنة بالمشروع العملي. (لزررق، 2013، ص 75)

يتركب مشروع الحياة على قاعدة المقارنة بين تمثل الذات والذات المسقط في المستقبل. يمكن القول بأنّ مشروع الحياة هو مفهوم تتحد فيه أبعاد فردية، أبعاد اجتماعية وبعد عاطفي. ويدخل الفاعل في تركيب مشروع الحياة داخل استراتيجيات توازن بينه وبين محيطه للبحث عن معنى.

2.1. الإدمان:

الإدمان يعبر عن تناول المخدرات بكميات كثيرة نسبياً وبطريقة شبه مستمرة كافية لتحطيم الصحة البدنية والوظائف الشخصية والدور الاجتماعي. (سرار، 2019، ص 68)

عرّفت منظمة الصحة العالمية للصحة الإدمان: "مجموعة من الظواهر النفسية المعرفية، والسلوكية التي تتطور بعد تكرار تعاطي المخدرات، وتتضمن رغبة قوية في الحصول على المخدر، وهنا يواجه الفرد صعوبة في السيطرة على التعاطي، ويُصرّ على الاستمرار في التعاطي بالرغم من الأذى المتواصل ويعطي الأولوية لتعاطي المخدر أكثر من أي نشاط آخر، وأكثر من التزاماته الشخصية، ويصبح هناك زيادة في التحمل" (المشاقبة، 2012، ص 24)

يقود الإدمان إلى التحمل، الانسحاب، والاعتماد على العقار النفسي والجسدي:

التحمل: يتضمن حاجة الفرد إلى الزيادة في كمية المخدر المأخوذة، حتى يحصل على التأثير المرغوب فيه، والذي كان يحصل عليه سابقاً. (Bègue, 2014, p. 18)

الانسحاب: تُشير إلى استجابات عضوية تحدث مباشرة بعد توقف الشخص عن تعاطي العقار (موسى، 2001، ص 316)

الاعتماد على العقار النفسي: يخص الحالة التي تتضمن كل انقطاع أو إنقاص في الجرعة بطريقة غير تدريجية للعقار والتي ينتج عنها أعراض مثل عدم الارتياح، القلق، الخوف والذي يُؤلّد رغبة شديدة في تعاطي العقار للوصول إلى الراحة النفسية والتخلص من القلق والخوف والتوتر.

الاعتماد الجسدي: ينتج عن الاستهلاك المتكرر والمفرط للعقار، الذي تكيف جسم الفرد مع أدائه.

حيث تصبح المادة المخدرة ضرورية لاستمرار وظائف الجسم بشكل عادي. (Bègue, 2014, p. 19)

3.1. المخدرات:

تستخدم كلمة "مخدّر" إلى المواد التي تدخل في التحضيرات الصيدلانية، لكنّها تستعمل في أغلب الأحيان للإشارة إلى مختلف المواد والخلصات التي يتبعها تأثير نفسي على المستهلك، والاستعمال المألوف لها يقود إلى الإدمان. تتميز هذه الحالة بالتبعية البدنية و/أو النفسية، المتميزة بالتغيرات السلوكية، وبالشهية الزوية تجاه المنتج، إمّا باستهداف تأثيرات نفسية محكوم عليها أنّها مُرضية، وإمّا لتجنب المعاناة المرتبطة بالحرمان، بالزيادة في الأخذ حتى التقبّل. يعني التقبّل مقاومة الجسم التدريجية لتأثيرات المنتجات المخدّرة، تتسبب هذه المقاومة في ضرورة زيادة الجرعة المستهلكة لأجل محاولة إعادة إنتاج الرضا الابتدائي. (Coslin, 1996, p. 139-140)

4.1. إدمان المخدرات والمراهقة:

لإدمان المخدرات في مرحلة المراهقة خصوصية بعيدة عن الدوافع والأسباب الاجتماعية، وهي السلوك الفضولي. حيث أنّ للمراهق تحفيزات شعورية حقيقية ناجمة من فردية يكون أثقلها وقعاً: الفضول، ثم البحث عن الهروب، البحث عن أثر الشهرة، ضغط الجماعة، تحدي المجتمع وغيرها.

حدّد جيومان (Guillaumin) ثلاث نقاط خاصة تعالج إشكالية الإدمان على المخدرات في فترة المراهقة وهي:

- تجربة الحداد التي تشكل المراهقة تبعث للبحث عن "مثيرات خارجية جالبة للذة"، لها تأثير مزيل للحداد بحد ذاته.
- الصدمة النفسية والحصر المصاحب لتتابع مراحل سيورة المراهقة.
- القلق وعدم الاستقرار النابع من التساؤل حول الهوية المميزة لمرحلة المراهقة (أزمة الهوية) والتي تكون أصل البحث عن عدم التمايز الجذري الذي يظهر فيه الإدمان على المخدرات كوسيلة للدفاع عن النفس مقابل تفرد جديد (Marcelli, Braconnier, 2000, pp. 344-345)
- ومن جهته، شابرو (Chabrol)، حاول في كتابه "الإدمان في سن المراهقة" (2001)، تسليط الضوء على خطورة الإدمان في مرحلة المراهقة، إذ يعتبره من أعقد المشاكل التي يواجهها الفرد في تلك

المرحلة، لأن السموم التي يتناولها المراهق تقوده إلى حالات صحية جسدية ونفسية خطيرة. والأخطر أن تعاطي المخدرات بجميع أنواعها يؤدي في سن المراهقة إلى التبعية، وبالتالي زيادة الجرعات إلى حد الإسراف، يتسبب هذا الأخير في تسمم ينجم عنه أمراض خطيرة وقد يؤدي به إلى الوفاة.

2. عرض وتحليل قصص الحياة:

1.2. عرض قصة حياة الحالة الأولى:

ب.ز. مودع بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو- سيدي بلعباس بسبب الاحتيال على متجربيع الهواتف النقالة والذكية، أخذ مبلغ مالي يفوق ستين (60) مليون سنتيم، بالإضافة إلى الهواتف واللوحات الالكترونية.

أنا ب.ز. أبلغ من العمر 16 سنة. أقطن بإحدى بلديات ولاية عين تموشنت. أعيش في أسرة مكونة من الوالدين، أخ وثلاثة أخوات. أحتل المرتبة الثالثة في الأسرة. يسبقني أخ (22 سنة) وأخت (19 سنة) وبعدي أختين توأمين (14 سنة).

يملك أبي مخبزة وتعمل أمي أستاذة اجتماعيات بالمتوسطة. أخي الكبير سافر إلى اسبانيا بطريقة غير شرعية (الحرقة) لمشاكل عويصة مع أبي، وهو الآن متزوج، وأختي الثانية متوقفة عن الدراسة، أنا متوقف عن الدراسة وموقوف بمركز إعادة التربية والبنيتين التوأمين تدرسان بالمتوسطة التي تعمل بها الأم.

لما ولدت كان أبي بالسجن لأسباب سياسية لأن أبي ملتحج، وكانت أمي مريضة لمعاناتها أثناء الحمل بمشكلة أبي المسجون. تكفلت بي زوجة عي حوالي 20 يوما إلى أن استعادت أمي عافيتها. وفرج عن أبي بعد ثلاثة أشهر من ولادتي.

أذكر في صغري أنني كنت أعيش حياة عادية. كان أبي يهتم بي ويدلني أكثر مما كانت أمي تهتم بي. ولكن مع بلوغي حوالي 5 سنوات تغيرت معاملة أبي لي نحو العنف والقسوة، لأنه أصبح يصدر مني سلوكات سلبية، وبدأ يظهر من تصرفاتي أنني طفل متهور. حيث بدأ أبي يشك أنني سأكون منحرفا مثل أخي البكر. فكنت أتصرف تماما مثله، لذا اضطر أبي لتغيير معاملته لي كي يتحكم بسلوكي قبل أن أنحرف. أخي كان طائشا ومتهورا، وكان رجلا بآتم معنى الكلمة (يقول: خويا كان راجل تع الصح). وجده أبي عدة مرات مع فتيات البغاء، وفي آخر مرة وجده أبي يشرب الخمر مع باغية، تبرأ من أبوته له، من هذه الحادثة فقد أخي الأمل في استرجاع علاقة طيبة مع أبي وزادت حدة وشدة انحرافاته ثم قرر "الحرقة"، سرق سيارة رفقة أصدقاءه، باعوها وبأموالها ركبوا قارب الحرقة وعمره لم يتجاوز 16 سنة.

استطاع أخي أن يعمل ويتزوج في اسبانيا كما أنه جمع كثيرا من المال واشترى لأبي مخبزة بعدما كان يعمل خبازا فقط.

ظن أبي أن سلوكه المتسلط والعنيف مع أخي صنع منه رجلا مستقيما وأعادته إلى الطريق الصحيح، لذلك تابع نفس الخطوات معي. كان أبي يضربني بشدة ويطرديني من المنزل في كل مرة وعمري لم يتجاوز 11 سنة، كنت أذهب إلى بيت جدتي (أمه) لأنها كانت تسكن بقرينا. لم يزد سلوكه العدواني هذا إلا عنادا وتهورا مني. حاولت أمي منعه من عقابي بالطرده ولكنها لم تتمكن من ذلك، وتركت الأمر له (يقول: السكات خير مالمطلق)، حاولت جدتي (أمه) مناقشته لكنه رفض، ومن رفضه لطلب أمه عرفت أن لا حل لمشكلتي معه، وقررت تقبل واقعي وحياتي. الصيف كنت أقضيه في منزل أخي الصيفي (المقابل للبحر) وباقي الفصول أقضيهم عند جدتي.

بسبب المشاكل التي كنت أعيشها مع أبي وواقعي المرير، بدأت بتعاطي المخدرات والخمور، ومرافقتي لأصحاب السوء. كنت مجبرا على مخالطتهم لأنني أصبحت في العراء. قبلا كان أصدقائي مهذبون ومتمدرسون، ولكن لما وجدت نفسي بالشارع، غيرتهم، أصبحت أحتاج إلى صديق له سيارة كي يحملني إلى منزل أخي وأدفع أجرته. أصبحت بحاجة إلى من يبيعني المخدرات كي أتمكن من مواجهة العالم المجهول الذي ينتظرني.

درست عاديا في الابتدائي، ولكن مع انتقالي للمتوسطة ولتعنيف أبي لي، ضربني بطريقة وحشية (يُري ندبات في وجهه وآثار الضرب القديمة التي لازالت في وجهه، وحتى سن مكسرة تسبب أبوه في كسرها)، طردني، مقاطعتي... تغيرت كثيرا وانحرفت. في السنة الأولى متوسط بدأت التدخين، مواعدة البنات، التغيب عن الدروس... فكررت السنة. السنة الموالية أصبحت متمردا على الأساتذة والطاقم الإداري. كنت متهورا جدا، ثائرا، متمردا، مندفعاً ومضطرباً.

حُوت عدة مرات إلى المجلس التأديبي ولكن بما أنّ أمي كانت أستاذة بالمتوسطة المجاورة فكانوا يتسامحون معي في كل مرة.

استمرتمدرسي على ذات الحال إلى أن تركت الدراسة نهائيا وعمري 14 سنة. ولكني كنت أتصرف كفتي في العشرين من عمره، لأنني كنت أجالس من أكبر مني سنا وكنت أحمل نفس تفكيرهم وتصرفاتهم. كنت أدخن، أتعاطى الحشيش والمخدرات. أتشاجر بالسكاكين. كنت أسهر بالملاهي الليلية وأواعد نساء كثيرات كبيرات وصغيرات السن. أقيم معهم علاقات جنسية غير شرعية. كما أنني أفقدت صديقتي التي أكبرها بسنة عذريتها وعمري لا يتجاوز خمسة عشر (15) سنة تحت تأثير المخدر. كانت

تأتي تبیت عندي في منزل أخي الصيفي دون علم والديها، كانت تنتقم من والديها، لأنها لم تكن سعيدة ببيت أهلها.

نزولي بالمنزل الصيفي الخاص بأخي تركني أنحرّف أكثر، لأنني كنت سيد نفسي، لا أحد يراقب تصرفاتي ولا أحد يتحكم فيها. كنت أحافظ على علاقتي الطيبة مع الدرك الوطني الذين يحرسون الشاطئ لكي يتركونني أفعل ما أريد وأبيت مع من أحب.

إقامتي هناك كان يفرض علي استهلاك المخدرات، كي أتمكن من الدفاع عن نفسي في حالة مهاجمتي بالليل. ففي أي وقت يمكن أن يتسلل إلي أحدهم، ووحدي لا أتمكن من مواجهته. ولكن تحت تأثير المخدر أستطيع وأقوى على مواجهته وضربه بالسكين أو حتى قتله إن استلزم الأمر ذلك، فهي تبعث في نفسي القوة والشجاعة. حتى لما أواجه أبي يجب أن أكون مخدرا لأنني لا أستطيع مواجهته ولا أقوى على التحدث معه. بما أنني مطرود من المنزل وأكون بحاجة إلى المال كي أعطي نفقاتي أذهب إلى أمي كي تعطيني المال. لما أدخل يبدأ أبي بتجريحي بالكلام والصراخ علي، ويطلب مني الخروج من البيت، لذلك أخذ احتياطاتي وأتناول المخدر، تحت تأثيره أستطيع مواجهته وأرد عليه بكل شجاعة: "لن أخرج من البيت، (أصرخ في وجهه أنا أيضا وأجرحه بالكلام أنا أيضا وأواجهه بحقيقته)، لم أت لزيارتك أنت بل أتيت لرؤية أمي، أنا لا أكرّث إليك ولما تقوله... أنت لا شيء بالنسبة إلي... لست أبي ولست ابنك... سأجلس مع أمي قليلا وأنصرف" ثم أجلس مع أمي، تعطيني المال وأذهب، يستمر أبي في تجريحي، أجرحه قليلا ثم أتجاهله، بعدها أخرج بمحض إرادتي.

لما ترى أمي أنني أستطيع مواجهة أبي فتعلم أنني مخدر وأني بحاجة إلى المال لأن المخدرات تنقصني ولكنها تعطيني المال لأنّ ليس لها خيار، لم تتمكن من حمايتي من الحالة التي وصلت إليها.

بفعل المخدرات وصلت إلى ذروة الانحرافات، شاركت حتى في جريمة قتل، حيث تشاجرنا ذات يوم مع صديق لنا وكنا مخدرين فقتلناه وتركناه مرميا على أحد الشواطئ. كما احتلينا على متجر لبيع الهواتف النقالة والذكية.

لا يمكنني التوقف عن تعاطي المخدرات، لا يمكنني تصور حياتي من دونها، لا أجد إقامة علاقات ولا المحافظة عليها من دون تعاطي المخدر. العلاقات غير الشرعية مع النساء والتردد على الملاهي أتوقف منهم عندما أتزوج. أفكر في الزواج من فتاة أكون قد تعرفت عليها مسبقا، ولكن لم يسبق لي وأن أقمت معها علاقة غير شرعية، لأنني سأفتر منها. لا يمكن أن تدخل منزلي فتاة أخطأت معها (مثل صديقتي السابقة). أتمنى أن أنجب ذكورا فقط وأن أصحابهم، لدي خبرة في الوسط المنحرف (يقول:

أنا نعرف الـ *milieu* (مليح) وبالتالي لا يمكن لأبنائي خداعي في ذلك. وهكذا سأربهم تربية جيدة عكس ما أنا عليه. أما البنات فلا أتمنى أن أنجب فتيات، إذا انحرفت الفتاة فيكون ذلك صعبا جدا.

العمل لا أفكر فيه الآن لأنني بالمركز المتخصص في إعادة التربية، وقال أخي الأكبر لأمي، لما يخرج من المركز اطلبي تأشيرة لك ولك وأحضريه إلى هنا (اسبانيا) لكي أضبطه. لكنني لا أريد ذلك، لأنني أعلم إذا ذهبت لاسبانيا سأكون مجبرا على الاستقامة، سأكون مجبرا على التوقف عن تعاطي المخدرات وأن أعمل وأتزوج. أخي جد حريص على استقامتي كما أنه شرس في التعامل. أنا أهابه كثيرا وأحترمه أيضا. أيضا سأكون في بلاد غريبة عني ولن يكون لدي أصدقاء منحرفين كما هو الحال هنا. (يقول: تماك ماعنديش معامن ندير عقلية مهولة). إذا تحسنت علاقتي بأبي بعد خروجي من المركز سأبقى هنا (وهو ما أتمناه)، أما إذا بقيت علاقتي سيئة بأبي فسأضطر إلى الهروب لاسبانيا عند أخي.

2.2. تحليل الحالة:

تُبين قصة حياة الحالة العلاقة المتوترة التي تربط الأب بالابن وأسلوب التربية المتسلط الذي كان يتبعه الأب مع أبنائه الذكور والذي دفع بالحالة إلى الانحراف والإدمان.

وصف ب. ز تأثير علاقة الأب السلبية بالابن البكر على علاقته بأبيه. كان الأخ الأكبر مراهقا جانحا، وكان الأب يتعنف معه قصد إصلاحه إلا أن سلوكاته زادت اضطرابا. إلى أن اختار طريق الهجرة اللاشرعية كحل لمشكلته العالقة مع الأب وكانت منفذا وحلا لعودة علاقة إيجابية مع الأب. بابتعاد الابن البكر عن العلاقة المضطربة مع الأب استطاع تحقيق ذاته والاندماج في المجتمع، ترك سكة الانحراف وتوجه للعمل ثم الزواج والإنجاب. استطاع إيجاد مكانة اجتماعية في اسبانيا لما ابتعد عن المشاكل وأسلوب العدوانية الذي كان يتبعه الأب معه.

انتقلت المعاناة مع الأب إلى الحالة ب.ز، ذكر أن الأب غيّر طريقته في التعامل معه مبكرا (5 سنوات) واتجهت إلى التعنيف والقسوة والضرب الوحشي، لما بدأت تضطرب سلوكاته. يقول ب.ز أنها "بدأت تظهر من تصرفاتي أنني طفل متهور". حيث أنه لا يمكن الحكم على سلوك الطفل وتشخيص اضطراباته لأنه في مرحلة نمو مستمر، والنمو يمر بمراحل وكل مرحلة تأتي بإمكانات جديدة تساعد على التخلص من صراعات المرحلة السابقة (ميموني، 2005، ص 37)

أخفق الأب في اختيار الأسلوب التربوي مع ابنه، حيث أنه كان عنيف جدا، يضربه ويعاقبه بشراسة، ومن جهة أخرى يطرده من المنزل وهو لازال في سن مبكرة (11 سنة) على مشارف المراهقة.

فشلت الأم أيضا في إصلاح العلاقة أب-ابن، فتشدد وتعصب الوالد لم يترك لها فرصة التأليف بينهم. لم يترك الأب للأم المجال كي تلعب دور المصلح بينهم، وبذلك يكون الأب قد جرد الأم من مكانتها

الاجتماعية ولم يقيم لها أي وزن. وبدورها لم تفرض نفسها عليه كـ "أم" حامية لابنها، وسكتت عن الوضع وخضعت للأب خوفاً من الطلاق.

يظهر من خلال العلاقات داخل الأسرة أنّ عائلتهم تتبع نظام تقليدي حيث يمثل فيه الأب مركز السلطة الذي تنظم حوله العائلة، وتكون العلاقات الاجتماعية عمودية، وإرادة الأب تكون مطلقة، وترتكز على العادة والاكراه. كانت تعاني المرأة في ظل هذا النظام تمييزاً داخل الأسرة الجزائرية مقارنة مع الرجل. بالإضافة إلى السلطة القمعية للأب، كانت تعاني لوحدها من سلطة الذكروساء كان الأب، الأخ، الزوج وغيرهم. (بلقاسم، 2011)

أكدت عديد الدراسات علاقة معاش ب.ز بالجروح، حيث اهتم عديد الباحثين بتأثير اضطراب العلاقات الأسرية للمراهقين الجانحين، منها دراسات (قليياك) Les Glueck الضخمة، فالعلاقة بين الوالدين غالباً تتميز بالعجز داخل أسر الجانحين مقارنة مع غيرهم من أسر غير الجانحين، لاحظاً أيضاً أنّه لا يوجد دفء عاطفي داخل أسر المراهقين الجانحين، بل تتميز العلاقات باللامبالاة والرفض. أمّا عن الإشراف، فغير مهم بالنسبة للأولياء، يتركون أطفالهم بدون حراسة. أسلوب الانضباط غالباً ما يكون مرتخي، مفرط في القسوة أو شارد. (Born, 2006, p. 67-70)

واعترف ب. ز أن سوء علاقته بأبيه دفعته إلى اضطراب سلوكه، بدأ التدخين وهو بالسنة الأولى متوسط، مواعدة البنات، ثم التغيب عن الدراسة، والتمرد المدرسي فكان جد متمرّد على الأساتذة. يصرخ عليهم، لا يمثل للقوانين التي ينصون عليها، يُقاطع الدرس، يسخر منهم أمام التلاميذ، ويثور عليهم يُعد التمرد من الاضطرابات السلوكية السلبية التي تظهر عند الطفل في مراحل متقدمة من العمر، ويُشير الدليل التشخيصي الاحصائي للاضطرابات العقلية بأن اضطراب العناد التمرد شكل متكرر من السلوك السلبي المعارض والمتمرد والعداوي تجاه أشكال السلطة (الوالدين والمدرسين). (عبد المعطى، 2001، ص 410-411).

يظهر انعدام المراقبة أيضاً في حالة ب.ز وهو عامل محرك للانحراف، فلم يذكر أنّ أباه كان يراقب تصرفاته ويمنعه من خطراً أو يُوجّهه، بل ذكر أنّه كان يطرده دون معرفته أين سيقضي أيامه ولياليه. تُعدّ حراسة الطفل، مراقبته منعه من عدة أفعال تُسيء إليه تُحسّس الطفل بالأمن والأمان وتبعث الثقة في نفسه وفي والديه، فيتحرك بكل حرية وهو مُدرك أنّه إذا اقترب من خطر فإنّ والديه سيمنعانه منه. كما أنّ المراقبة الفعالة تُشارك في خلق اتصال جيد وتعلق قوي بين الوالد وابنه، ومنها يكتسب الطفل مراقبة نزواته التي تُخرجه من الوحشية إلى الانسانية. (Marcelli, 2004, p. 3).

تلي المراقبة الأسرية المراقبة الخارجية المتمثلة في مراقبة الشرطة والدرك وغيرهم، كي يتمكن الفرد من ضبط ذاته، إلا أنّ في حياة ب.ز كانت مائعة، فرغم تواجد الدرك إلا أنّ عملهم وممارستهم للمراقبة كان متسيباً. يؤكد إيرشي (Hirschi) على أهمية وضرورة المراقبة الخارجية (مثل: الخوف من الدركي) وذلك للمحافظة على الامتثال الاجتماعي، كما جاءت به فرضيته المعقدة: المراقبة الخارجية المدربة من طرف الوالدين تُؤدّ مراقبة داخلية وتعلّقاً بالمؤسسات المتعاقدة التي تُكوّن الرابط الاجتماعي. (Born, 1012006, p.

اضطرب ب.ز لمصادقة جماعة أقران منحرفة نسبة لحياة المتشرد التي يعيشها، وذكر أنها جماعة مصلحة، وهي من ساعدته في إدمان المخدرات. فالجماعة في هذه الحالات تلعب دور السند، كما تبرر له موقفه أنكل الظروف تساعد على تعاطي المخدرات والاستمرار فيها. كما يعزز الحاجة للولاء للجماعة رغم انحرافها، نقص المهارات الاجتماعية، نقص مهارات حل المشكلات وتدني تقدير الذات. (بريشي، 2020، ص350)

أمّا عن السبب الرئيسي لإدمانه هو اضطراب العلاقة مع أبيه والحاجة للحب والقبول والتقدير منه. حيث ذكر أن استهلاكه للمخدرات كان كاستجابة لعجزه وعدم قدرته على حل ومواجهة مشاكله مع أبيه، كان يحاول نسيان الواقع المرير الذي يعيشه، وخاصة وأنه عاش مرارة العلاقة من قبل لما كان الأب مضطرب العلاقة مع الابن البكر، ثم عاشها مرة ثانية أكثر مرارة كونه هو الفاعل وهو المهان والمعنف والمرفوض. والذي يزيد شدة أزمته أنه رأى أن أخاه لم يتمكن من حل المشكلة مع أبيه إلا بعد أن خاطر بحياته وهاجر في قارب الموت. عدم وجود علاقة عاطفية بين الأب والابن يقابله حرمان وفراغ عاطفي، وهو ما كان يحاول ملأه باستدخال المخدر. فمن وجهة نظر التحليل النفسي، فإن الإدمان على المخدرات يعتبر وسيلة علاج ذاتي يلجأ إليها الشخص لإشباع حاجات طفلية لاشعورية. وهو ما يفسّر التثبيت في المرحلة الفمية، والتي ينجم عنه في الكبر: السلبية، الاتكالية، عدم القدرة على تحمل التوتر النفسي والألم والإحباط أي عدم نضوج الشخصية بصورة عامة. (شيناز وبولحبال، 2020، ص218)

ثم تلت مرحلة ملأ الفراغ، مرحلة الاستمتاع والتلذذ بمكاسب مفعول المادة المخدرة أين تأثر مفهوم الذات لديه. حيث ذكر أنه يتوجب عليه أن يتعاطى العقار لمواجهة الخطر الذي يُحيط به وهو في منزل أخيه الصيفي، وذريعتة أنه يمكن أن يتسلل إليه شخص غريب ويهاجمه لذلك فهو يبرئ نفسه للدفاع عن نفسه، فهي تساعد على التغلب على الخوف وتوحي له بامتلاك القوة والشجاعة، التي يتمكن بواسطتها أيضاً مواجهة أبيه والتحدث إليه، وهو ما لا يستطيع فعله وهو بدون تخضير. فيستطيع التعبير في وجه أبيه عن المعاناة التي يعيشها والألم النفسي الذي سببه له.

يعيش ب.ز حالة من التماهي مع الأخ الأكبر والخوف من فقدان حبه مكان صورة الأب التي توجب عليه استدخالها في مرحلة الأوديب. يُحبّ ب. ز صورة أخيه ويُعجب بها وهو شرط أساسي للتماهي. كون التماهي عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر. ويتحول كلياً أو جزئياً تبعاً لنموذجه. (لابلانز وبونتاليس، 1985، ص 199).

كان أخوه يُمثل صورة إيجابية ومثالا أعلى بالنسبة إليه،: "كان أخي رجلاً حقيقياً (رُجُلَةً)". كما تولى مهمة المؤطر، الموجه والذي افتقدناه عند الأب، كان يعلمه أساليب المواجهة، ويحميه من جهة أخرى. مشروع الحياة على العموم مضطرب ومشوش لدى الحالة ب.ز، ومرتبطة بعلاقته بأبيه، فالمشروع في المراهقة له علاقة بين الماضي والحاضر، يقتضي القدرات المعرفية، والتي تظهر في أفكاره: "عدم قدرته على إقامة علاقات مع الآخرين في غياب المخدر" و"عدم قدرته على المحافظة على العلاقة بالآخرين في غياب المخدر". كما يقتضي بناء المشروع استعداد في اللحظة، والذي نراه غير موجود لدى الحالة كونه مودع بالمركز المتخصص في إعادة التربية. ويلزم سياق اجتماعي يسمح للمراهق مباشرة العمل في المشروع، وفي حالة ب.ز يرتبط بمسار تطور علاقته بأبيه. لذا ظهر مشروع توقفه عن تعاطي المخدرات مستحيلاً، كون علاقاته الاجتماعية التي يحاول إبقائها (بمحافظة على تعاطي المخدرات) في ظل غياب العلاقة الإيجابية مع أبيه.

المشروع المنفي غير بارز بالنسبة إليه لأنه من جهة متواجد بالمركز المتخصص في إعادة التربية، يُوضح ميكيلي (Mucchielli) من جهته أن الشخصية الجانحة تتميز بغياب المستقبل (الأفق) الزمني أو اضطرابه، وهو غياب مستوى ما يسمى بمستوى الطموح، عدم الاهتمام بالمستقبل، وسيادة الحاضر (Mucchielli, 1979, pp. 52-53) ومن جهة أخرى ليس له مستوى دراسي يؤهله لاختيار مهنة معينة، ولا يملك حرفة تمكنه من اعتمادها كعمل ومصدر رزق. كما أنّ مصيره غير محدد، ذكر أن أخاه يفرض عليه اللحاق به إلى إسبانيا، وهو اتجاه محتم بالنسبة إليه، لا يرغب فيه، ولكن يراه كمنفذ للهروب من واقعه المرير الذي يعيشه والذي بسببه سيبقى في دوامة التعاطي والمشاكل.

المشروع العائلي واضح نسبياً، فهو يتخيل طريقة تعرفه بالزوجة المستقبلية، وطريقة تربية أبنائه، ويرى نفسه مخيراً في ذلك، ويبنيه بكل حرية وأريحية. يكون مقيداً فقط إذا رزقه الله بالبنات.

3.2. عرض قصة حياة الحالة الثانية:

س.ه مودع بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو- سيدي بلعباس بسبب التعدي ومحاولة حرق مقر الأمن الحضري.

أنا س.ه، أبلغ من العمر 17 سنة، من ولاية معسكر، أحتل المرتبة السادسة من بين سبعة (7) إخوة. نحن خمسة (5) ذكور وبنات (2)، يسبقني ثلاثة (3) إخوة وأختان (2)، يليني أخ صغير. أخواتي متزوجات، أمّا أخويا الآخرين متزوجين ويسكنان معنا في منزلنا العائلي الكبير. أبي تقاعد من شركة سونطراك واشترى مزرعة وهو يشتغل فيها، يربي الماشية. أمي مأكثة بالبيت.

كنت أعيش في بيتنا حياة هنيئة، لا ينقصني شيء. تربيت مدللا في أسرتي، بل عشنا كلنا مدللين. كان أبي ميسور الحال وكان يلبي كل طلباتنا. كنا نذهب وحدنا لمحل الملابس المجاور لنا ونختار كل ما نحب ويأتي أبي في آخر اليوم ليدفع الحساب دون أن يسألنا لماذا أخذنا هذه أو تلك. ذات مرة أيضا طلبت من أبي شرائي دراجة فاشترى لي دراجة، وفي الأسبوع الموالي طلبت منه شراء دراجة أخرى لأنها أعجبتني فاشترى لي دراجة أخرى ثم لم يمض بعدها شهرا وطلبت من أبي شراء دراجة ثالثة فاشترى لي دون أن يقول لي اقتنيت لك من قبل دراجتين. تربينا على هذا الحال، كل ما نطلبه يلبي لنا في الفور. لما كنت أدرس بالابتدائي، كنت أتغيب كثيرا، أدرس أسبوعا وأتغيب أسبوعا. كنت أتغيب أنا وأصدقائي دون علم والديا، كنت أخذ محفظتي عاديا في الصباح وأتوجّه إلى المدرسة، وأبقى خارجها. كنا نذهب للتنزه والمرح ثم نعود إلى المنزل مع حوالي العاشرة صباحا (كان أصدقائي مدخنين أمّا أنا فلم أكن أدخن آنذاك). كنت أقول لأولياي أنّ المعلمة سرحتنا مبكرا. مضت عدة سنوات على هذا الحال دون أن يعلم والديا بالأمر.

أمّا عندما أدخل إلى القسم، فكأنني غائب، فلم أكن أتابع الدروس. كنت أضع رأسي فوق الطاولة حتى يرن الجرس. لم أكن أحب الدراسة. حتى لما كنت أدخل في المساء إلى المنزل لم أكن أراجع دروسي كباقي التلاميذ، كان يصرخ إخوتي علي كي أراجع ولكن لم أكن أهتم بهم. في بعض الأوقات كان تساعدني أختي في مراجعة دروسي، كما كانت تحفظني الدروس ولكن في الصباح أجد نفسي قد نسيت كل شيء، لأنّي لم أكن مهتما بالدراسة.

كررت السنة الثالثة ثلاث مرات رفقة زملائي الأربعة، ثم انتقلنا إلى السنة الرابعة. درسنا خمسة عشر (15) يوما وتوقفنا نهائيا عن الدراسة وذهبت للعمل مع أبي في المزرعة. مع حوالي اثني عشرة (12) سنة، كنت أعمل مع أبي وأخي الذي يكبرني بسنتين، كنت جد سعيدا بذلك خاصة وأنا أبي اشتري له دراجة نارية، كنت متحمسا أيضا للحصول على امتيازات من قبل أبي. كنت أقلد أخي في كل الأمور، توقف هو أيضا عن الدراسة في السنة الرابعة ابتدائي وبدأ يعمل مع أبي. كنا متوافقين جدا، نعمل معا، نمزح معا، في الليل نسهر قليلا أمام باب المنزل قليلا ولما نحس بالنعاس ندخل إلى المنزل وننام. كنا نمضي كل أوقاتنا مع بعض.

توفي أخي حوالي سنين بعدها (لما كنت أبلغ 14 سنة) في حادث بدراجته النارية، ومنذ ذلك الوقت فقدت رشدي، لم أستحمل الحياة من دونه، كان كل شيء بالنسبة لي، كرهت العمل من دونه. سئمت الحياة والاستمتاع، أصبحت الحياة من دونه لا تعني لي شيئاً. بكيت بحرقة عليه وكأن شيئاً من جسدي مات، مضت ثلاث سنوات على موته ومازلت أبكي لما أتذكره. تألم أبي أيضاً لفراقه لأنه كان عموده الفقري في العمل، كان يحب العمل كثيراً وكان العمل كل ما يشغل ذهنه.

بعد موت أخي تغيرت كثيراً انقلبت كل موازيني، شهرين بعد وفاة أخي بدأت أشرب الخمر ثم أتعاطى المخدرات. كنت أشرب الخمر لأنني لم أستطع التعبير عما بداخلي، لست من الأشخاص الذين يشيرون إلى ما يؤلمهم، بل أحتفظ بكل همومي بداخلي، وكنت أشرب الخمر حتى أبكي وأروّح عن نفسي.

بدأت بالخمر ثم انتقلت إلى المخدرات. كنت أسمع أنّ للمخدرات تأثير فعال وجيد حيث أنّها تُمكنني من قضاء اليوم من دون وعي وشعور بالمعاناة. جربتها فوجدت أنّ الوقت يمضي بسرعة تحت تأثيرها. لم أعد أفكر في موت أخي ولم أعد أموت في اليوم عدة مرات من قساوة فراقه. في أول تجربة لي في استهلاك المخدرات، أحسست بمتعة فائقة، حيث أنّي استمتعت كثيراً بيومي، كنت ألهو وأمرح رفقة صديقي. وبالليل نمت جيداً، دون أرق. وفي اليوم الموالي يبقى تأثير المخدر، فكنت أعمل بدون الاحساس بالتعب أو الملل، كان يمضي اليوم وكأنني لم أعمل، لأنّ عقلي غير واع. بعدها نفرت من العمل وبقي تفكيري مشغول إلاّ بالمخدر، فكنت أخلق الأعذار لأبي كي لا أعمل، مرات أذهب لملاقة صديقي، ومرات أمضي اليوم في اللهو والمرح مع صديقي.

انحرفت أكثر وصرت أسهر بالملاهي الليلية وأقول لأبي أنّي سأنام عند صديقي. أصبحت أعتدي على الآخرين بالسكين، أسرق، وأفتعل السلوكات الطائشة. دخلت إلى الم.م. في إعادة التربية بولاية معسكر من قبل ومكثت فيه ستة (6) أشهر، لأنني سرقت من رجل مالا. جاء للاستفسار من أبي وترك سيارته دون أن يغلقها، وجدت فيها مالا فأخذته مباشرة دون أي تفكير (رغم أنّ لدي المال ويعطيني أبي في كل مرة، ولكن لم أفكر في شيء). وجدت مبلغ 25 مليون، ذهبت إلى وهران، اشتريت ملابس جديدة ثم عدت إلى المنزل بـ 20 مليون. في ذلك الحين قدّم الرجل شكوى ضدي، أرجعت له 20 مليون، وزاده أبي الباقي ولكنّه لم يسحب شكوته. فأخذتني الشرطة مباشرة إلى المركز. مكثت هناك ستة أشهر، وبعد خروجي لم يمض شهرين وها قد عدت إلى المركز.

وتكون هذه المرة الثانية التي أدخل فيها إلى م.م.إت، لأننا اعتدينا على مصالح الشرطة. شربت الخمر مع أصدقائي. كان صديقي يحمل قوارير الخمر المتبقية ومريّننا بمصلحة الأمن الحضري المجاورة لبيتنا، أخذ أعوان الشرطة من صديقي الكيس الذي به قوارير الخمر. طلبنا منهم إرجاعها لنا رفضوا

ثم ترجيناهم ورفضوا، فرميناهم بالحجارة، ثم أتى صديقي بسرعة بالبنزين من منزلهم، وألقيناه على مصلحة الأمن وكنا نود إشعالها، إلا أنه لم يكن معنا الكبريت وبقينا نبحث لإشعالها. في نفس الوقت، كَلَّم أعوان الأمن مصالح أخرى للأمن وأتت مجموعة أخرى من أعوان الشرطة إلى ذات المكان. أطلقوا الرصاص في السماء، فهربنا إلى الغابة واختبأنا هناك، فلم يعثروا علينا، ثم عدنا إلى منازلنا وكأن شيئاً لم يحدث، وفي الصباح أتوا إلى منزلنا وأخذوني إلى السجن في بادئ الأمر ثم حوّلوني إلى الم.م. في إعادة التربية.

حاول أبي إقناعي بترك هذا الطريق الأعوج إلا أنني لم أكرث له، أنا جد عنيد ومتصلب الرأي. وعدت أبي بالعودة إلى العمل معه بعد الخروج من المركز ولكن لم أعد بترك المخدرات. لا أستطيع تخيل حياتي دون مخدر، لا أستطيع تحمل مشقة العمل بدونها. الفلاحة شاقة جدا. اكتشفت ذلك بعد استهلاكي للمخدرات. أمّا عن الزواج، فلا أفكر فيه. لا أتخيل نفسي أباً ولدي أولاد. لم أفكر بعد. ولكن أعلم أنني سأتابع نمط أبي وأخوتي في تكوين أسرة. أتزوج في المنزل العائلي وتتولى أُمي وزوجتي تربية الأبناء.

4.2. تحليل الحالة:

يُميّز الحالة س.ه سلوكه الاندفاعي والمرور إلى الفعل الجانح كسرقة مال الرجل الذي جاء يسأل أبيه، حيث ذكر أنه ليس بحاجة إلى المال، لأن أباه يمنحه المال الكافي ويفضّيه بما كل ما يطلب منذ طفولته، إلا أنه لم يقاوم رؤية المال أمامه واندفع وأخذه دون تفكير في العواقب. كما ظهرت اندفاعيته أيضاً عند محاولة إشعال مقر الأمن عندما أخذوا منهم قارورات الخمر. تعد الاندفاعية سمة من سمات الشخصية الجانحة، ذكر كوفمان (Kaufman) في مقاله الشهير حول "الجوانب الدفاعية للاندفاعية عند المراهق" أنّ "الجانح يعيش حالة من الضغط المرتفع الذي يَصُم وَيَحْدُ الشخصية. هذا ما يرجعه إلى الطور ما قبل-الأوديب ويخلق عنده قلق عميق غير مضبوط والذي يُدافع عنه بتفريغ الاندفاعية. تظهر الاندفاعية إذن كتعبير عن آلية دفاعية لأننا في خطر الانغماس في القلق" (Mucchielli, 1979, p. 78).

تكونت سمة الاندفاعية وعدم تقبل الاحباط من التلبية الفورية لكل الماديات في الصغر وعدم تعويد الطفل على تقبل الاحباط وتأجيل إشباع الرغبات، (فتلبية شراء ثلاث دراجات في آن واحد خير دليل على ذلك). " وعدم تقبله طبيعياً يخلق ضغطاً للفرد الذي يخضع له؛ فالمرور إلى الفعل الجانح، اندفاع لتفريغ شحنة هذا الضغط بتلبية حاجات ورغبات لأننا مقترن برفض الحواجز الاجتماعية، وهذا ما يُمثّل التمرکز حول الذات." (Mucchielli, 1979, p. 78).

يظهر أسلوب التساهل أيضا في التنشئة الاجتماعية من خلال عدم مراقبته في المدرسة، حيث أنه كان يتغيب عن الدروس ولم يلاحظ والداه ذلك، كما أنه قرّر التخلي عن الدراسة مبكرا (السنة الرابعة ابتدائي) ولم يعارض والداه على ذلك وتوجّه إلى العمل معه. يُصَرِّح إيرشي (Hirschi) على أنّ المراقبة الوالدية مكوّن أساسي للصلة التي تقود الطفل لأن يصبح عضوا من المجتمع وبالتالي يمتنع عن الجنوح. ولاحظ فارينغتون (Farrington) في تحاليله لتنبؤات الجنوح أنّ كل الأبحاث تلتقي في الربط بين الدور الأساسي لنقص الإشراف والحراسة من طرف الأولياء، عدم الانتظام في الانضباط أو القسوة في تطبيقه. (Born, 2006, p. 94)

الانتماء إلى جماعة الأقران المنحرفة، تعد جماعة الأقران من الفاعلين الاجتماعيين المؤثرين في تحديد وتوجيه سلوك الفرد، فدورها لا يقل أهمية عن دور الأسرة والمدرسة. فلها خصوصيات وتعد من المصادر المهمة والمفضلة عند المراهقين للاقتداء واستقاء الآراء والأفكار. يتعلم الفرد كيف يعيش إطار قواعد اجتماعية جديدة لا سبيل لمخالفتها، وإلاّ نبذته الجماعة. ويشكل ذلك خطورة أكبر عندما تكون جماعة الرفاق منحرفة، فيكون النموذج منحرفا ويسعى باقي أفراد الجماعة لتقليده.

يذكر س.ه أنه لم يكن مدخنا وكان ينتمي لجماعة أقران تُدخن، إلى أن انتهى به الأمر إلى التدخين. يلعب تقليد النموذج دورا أساسيا في الانحراف وهذا كما جاء في أبحاث فالدمان (Feldman) عام 1993. كما أنّ الارتباطات بين الجنوح الرسمي والجنوح المصّرح ذاتيا من خلال الإجابة عن السؤال: هل اعتقل واحد من أصدقائك قبلا؟ تكون مرتفعة (من 0.45 إلى 0.88) مهما كان سنهم ارتكازا على أبحاث إيندولانق (Hindelang)، إيرشي (Hirshi) ووييس (Weiss) عام 1981. (Blatier, 1999, p. 154-155). تتابع التسرب المدرسي والانحراف، يعد الرسوب المدرسي من أول بوادر الانحراف لدى المراهقين، فيسبق انحراف المراهقين وجنوحهم التغيب المتكرر عن المدرسة، ثم الفشل المدرسي، وعليه، الانحراف.

ذكر الحالة أنّه كان يكره الدراسة، كان يتغيب عن الحصص وعند حضوره لا يتابع ساعة منها، وهو ما يُفسّر أنّه كان ينتظر رسوبه وطرده من المؤسسة التربوية. كون أباه مارس نوعا من التعزيز-بطريقة غير مقصودة- للتخلي عن الدراسة. كون أباه كافأ أخوه الأكبر-الذي كان يراه نموذجا-بأخذه للعمل معه واقتناء دراجة نارية له (وهو محفز قوي بالنسبة لمراهق يبحث عن الاستقلالية)، فكانت هذه الأخيرة أحد المحفزات التي قرر من على إثرها س.ه ترك مقاعد الدراسة للحصول على مكافأة، عن طريق الاشتراط الكلاسيكي الذي جاءت به المدرسة السلوكية.

يعتبر ترك المدرسة مبكرا من مؤشرات الانحراف، ويُعتبر عدم تكيف الطفل والمراهق بالمدرسة من المتغيرات المهمة المرتبطة بالجنوح لأنّ درجة هذا اللاتكيف تُنظّم ردود أفعاله نحو معلميه. أبرزت الأبحاث أنّ عديدا من الجانحين قد فشلوا في تجربة الاندماج. وهذا الفشل ليس بالضرورة راجع لعب في الذكاء لكن غالبا ما يرجع لنقص في الدافع، الذي يدفعه للبحث التعويضي عن هوية من خلال إنجاز النشاط الجانح. (Blatier, 1999, p. 147)

بعدها توفي أخوه المقرب إليه، والذي كانت صدمة كبيرة بالنسبة إليه، كونه لم يكن أبا له فقط بل كان نموذجه في الحياة، وكان مقربا جدا بالنسبة إليه، وهو ما جعله عاجزا عن كل شيء. تعد الصدمة حدث في حياة الشخص، يتحدد بشدته، وبالعجز الذي يجد الشخص فيه نفسه، وبما يثيره في التنظيم النفسي من اضطراب وآثار دائمة مولدة للمرض. تتصف الصدمة بفيض الإثارات، تكون مفرطة، بالنسبة لطاقة الشخص على الاحتمال، وبالنسبة لكفاءته في السيطرة على هذه الآثار وإرصائها نفسيا. (لابلانوش وبونتاليس، 1985، ص 198-199). فصدمة موت عزيزه المقرب، جعلته عاجزا عن القيام بكل شيء، كما أدخله فقدان موضوع الحب حالة من الاكتئاب والسوداوية. حاول س.ه التغلب على أزمته النفسية بعد رحيل أخيه من خلال لجوئه إلى الإدمان على الخمر والمخدرات.

يظهر الإدمان على المخدرات كرد فعل، كاستراتيجية لاشعورية، مشتركة مع عدم القدرة على مواجهة القلق، وإيجاد طرائق تكيف ناجحة مقابل حقيقة مقلقة ومخيفة، ولعجز محسوس، كذلك لمعاناة نفسية، والتي يحاول الفرد نفيها. باستدخال المادة المخدرة، يُحاول المتعاطي ملأ الفراغ الداخلي الناتج عن عدم القدرة على قراءة الانفعالات الخاصة لتسييرها، وتوجيهها. يملأ الفرد الفراغ الداخلي بتفاصيل خارجية للمحافظة على حالة الموت الداخلي الذي يُخلّصه نهائيا من التجربة الانفعالية التي يحس الفرد أنّها تُهدّد سلامته. (Coslin, 1996, p. 139-140)

يرى س.ه أنه فقد الرغبة في العيش بعد وفاة أخيه وأنه فقد المتعة وبهجة الحياة، وبقي يتألم ويعاني من شوقه لأخيه. ولكن بعد تعاطيه المخدر أصبح يستطيع أن يستمتع بالحياة، كما ذكر أيضا أنه أصبح يتحمل مشقة عمله (الفلاحة) وكان يمضي اليوم وكأنه لم يعمل.

يظهر مشروع التوقف عن استهلاك المخدر غائبا، بل مستحيلا، فرغم قساوة الوسط الذي يعيش فيه (المركز المتخصص في إعادة التربية) ورغم التورط الذي تورط فيه بسبب المخدرات، إلّا أنّه يرفض فكرة فطامه من المخدر.

المشروع المهني ظاهر عند الحالة س.ه، حيث ذكر أنه سيعود للعمل مع أبيه في مجال الفلاحة بعد أن ضجر وملّ وتخلّى عنها.

أما عن المشروع العائلي فهو غائب بالنسبة إليه، بل وجد التفكير فيه غريبا، فلم يستطع إسقاط نفسه في المستقبل مكوّنا عائلة، ثم انتهى إلى تبني طريق والده وإخوته لأنه يراه مثاليا بالنسبة إليه.

3. خاتمة:

يعتبر دراسة مشروع الحياة في مرحلة المراهقة أساسيا، كونها مرحلة مهمة في حياة الفرد. يكتمل فيها النضج ويكوّن فيها الفرد هويته الشخصية ويندمج في المجتمع الذي ينتهي إليه من خلال تجسيد مشروع الحياة التي خطط له.

مشروع الحياة يعني رغبة الشخص وعزمه في توجيه اهتماماته ونشاطه نحو تحقيق مستقبله، ويساعد في ذلك قدرته على رسم طريق واضح المعالم يجند له كل الامكانيات الواقعية والفعلية من أجل بناء ذاته ورغباته وطموحاته في الواقع.

يتأثر مشروع الحياة بالإطار المكاني الذي ينشأ ضمنه المراهق والديمومة الزمنية والاختيارات المستقبلية، لذا حاولت دراستنا البحث في مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات، بالاعتماد على منهج قصة الحياة. تكونت عينة الدراسة من مراهقين مدمنين على المخدرات، عمرهم 16 و17 سنة، مودعين بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو ولاية سيدي بلعباس.

توصلت الدراسة إلى أن مشروع الحياة لدى المراهق المدمن على المخدرات مشوش وغير بارز. المشروع المهني ظاهر لدى الحالة الذي كان يشتغل سابقا مع أبيه، وغائب لدى الحالة الذي يعاني من مشاكل علائقية مع أبيه. وبالتالي يتأثر تخطيط المشروع بالدعم الأسري والعلاقات الأسرية. المشروع العائلي غير ظاهر لدى الحالة، رغم وجود المشروع المهني. وظاهر لدى الحالة الذي يعاني من القسوة والبرود في العلاقات الأسرية والذي يفسر محاولة تعويض الحالة للنقص الذي عانى منه خلال مراحل تكوينه.

لا يتضمن مشروع الحياة خطة التوقف عن إدمان المخدرات. وأوصينا في دراستنا بضرورة إرشاد الوالدين بضرورة التربية عن طريق المشروع أثناء التكوين النفسي والاجتماعي للطفل، لأن فكرة تبني مشروع حياة توجّه الفرد نحو الاندماج في المجتمع مستقبلا وبالتالي تجنب مظاهر التهميش بما فيه الإدمان على المخدرات والجنوح.

4. المراجع:

- أنجرس، مورييس. (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية تدريبات عملية. (ط2). ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون. الجزائر: دار القصة للنشر.
- المشاقبة، محمد أحمد. (2012). الشباب والمخدرات، الارشاد والعلاج النفسي. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- بريشي، مريامة، (جوان، 2020). تعاطي المخدرات وإدمانها، منظور نفسي اجتماعي. *دراسات نفسية وتربوية*، 13 (3)، 341-358.
- بلقاسم، الحاج، (فيفري، 2011). النظام الأبوي الجزائري ومظاهر تغير المكانة الاجتماعية للمرأة. *مجلة العلوم الاجتماعية*.
- سرار، عائشة. (ديسمبر، 2019). دور السجون في مكافحة المخدرات والوقاية منها. *مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف*. 4 (2)، 66-76.
- شاربول، هنري. (2001). الإدمان في سن المراهقة. (ط1). ترجمة: فؤاد شاهين. بيروت: عوידات للنشر والطباعة.
- شيناز، سامية، وبولحبال، آية، (جويلية، 2020). ظاهرة الإدمان على المخدرات الأبعاد النفسية والاجتماعية وأساليب المعالجة. *المجلة الجزائرية للأمن الإنساني*، 5 (2)، 212-229.
- عبد المعطي، حسن مصطفى. (2001). الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة، الأسباب التشخيص والعلاج. (ط1). القاهرة: دار القاهرة للكتاب.
- لابلونش، جان، وبونتاليس، ج.ب. (1985). معجم مصطلحات التحليل النفسي. (ط1). ترجمة: حجازي مصطفى. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- لزرقي، سجيدة. (2013). *التنشئة الاجتماعية الوالدية وجنوح الأبحاث. دراسة منجزة بالمركز المتخصص في إعادة التربية بحاسي دحو ولاية سيدي بلعباس*. رسالة (ماجستير) منشورة. (جامعة وهران).
- مقدم، خديجة. (2011). *مشروع الحياة عند المراهقين الجانحين. دراسة بمركزي إعادة التربية بوهران*. أطروحة (دكتوراه) منشورة. (جامعة وهران).
- موسى، رشاد علي عبد العزيز. (2001). أساسيات الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: مؤسسة المختار.
- ميموني، بدره معتصم. (2005). الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق. (ط2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- Bègue, L. (2014). *Drogue, alcool et agression : l'équation chimique et sociale de la violence*. France: Dunod.
- Blatier, C. (1999). *La délinquance des mineurs: l'enfant, le psychologue, le droit*. France : PUG.
- Born, M. (2006). *Psychologie de la délinquance*. (2e éd). Bruxelles : De Boeck.
- Cherif, H et MONCHAUX, PH, (sous la dir de). (2007). *Adolescence : quels projets de vie?*. Alger : Centre de Recherche d'Édition et d'Application Psychologiques (CREAPSY).
- Coslin, P. G. (1996). *Les adolescents devant les déviances*. Paris : PUF.
- Marcelli, D., et Braconnier, A. (2000). *Adolescence et psychopathologie*. (5e éd). Paris : Masson.
- Mucchielli, R. (1979). *Comment ils deviennent délinquants*. (7e éd). Paris : ESF.
- Galligani, S. (Mars, 2000). De l'entretien au récit de vie: Quand les sujets s'emparent de la conduite d'un entretien. *Ecarts d'identité*, 92, 21-24.
- SANTIAGO-DELEFOSSE (M), (s.d). *Histoires de Vie, une méthodologie pour comprendre l'interstructuration entre personnalisation et parcours de vie*, Université de Lausanne, 1-47.

5. الملاحق:

الملحق (1): دليل المقابلة

- الحالة: اللقب والاسم، تاريخ ومكان الازدياد، العنوان، المستوى الدراسي، نوع العمل الذي يشتغل به إن كان يشتغل، العادات، الادمان على الكحول، المخدرات والحشيش، الحالة الصحية.
- الأب: عمره، نوع عمله. علاقته وسلوكه مع الحالة، مع الأم والإخوة.
- الأم: عمرها، نوع عملها إذا كانت تشتغل. علاقتها وسلوكها مع الحالة، مع الأب والإخوة.
- الإخوة: عددهم، أعمارهم، ترتيبهم ورتبته بينهم. علاقتهم فيما بينهم.
- الأسرة: تقاسم الوظائف في المنزل، وظيفة الأب، وظيفة الأم، وظيفة الحالة.
- الممارسات الوالدية المستعملة من قبل الوالدين، اتفاق أو عدم اتفاق الوالدين على الأسلوب التربوي، تطبيق العقاب، الرقابة والحراسة، استعمال التعزيز والتوبيخ في العملية التربوية، تتبع الوالدين للطفل بالمدرسة...
- السكن: نوعه وحالته.
- المدرسة: علاقته بالمدرسين، بزملائه التلاميذ. طبيعة سلوكه بالمدرسة، الغياب من المدرسة...
- تاريخ الحالة: الرغبة في الحمل، طبيعة الولادة، طبيعة الرضاعة، انفصال الأم عن طفلها إن وجد...
- الاضطرابات السلوكية في مرحلة الطفولة منها: العناد، العنف، الكذب...
- الإدمان على المخدرات: بدايته، سنه، طريقة تعلمه، أنواع المخدر المستعمل...
- الجناح المرتكبة.
- مشروع الحياة: النظرة الحالية للذات، النظرة المستقبلية، مشروع العمل، اختيار الزوجة، انجاب الأولاد، الرؤية المستقبلية لأسرته التي سيكونها. التخطيط للعلاج والإقلاع عن تعاطي المخدر...